مجلة: تطوير العلوم الاجتماعية | ISSN: 1112-9212
مخبر استراتيجيات الوقاية ومكافحة المخدرات في الجزائر - جامعة الجلفة | مجلد: 10 عدد: 02 الجزء: 02 2017

واقع التعليم في الجزائر من التجربة الفنلندية

أ. شريط عادل
جامعة العربي بن مهيدي –أم البواقي
Cheriet12000@gmail.com

الملخص:

يحتاج إصلاح المنظومة التربوية والتعليمية إلى مجهودات جبارة سواء كان ذلك على مستوى الحكومات أو حتى على مستوى الأفراد، وذلك نتيجة لاعتقاد راسخ بأنّ حاضر الأمم ومستقبلها مرهون بمدى تمكنها من العلم والمعرفة. فتشكل لدى هذه الأمم إيمانا قويا بأنّ الرأسمال الحقيقي والدائم يكمن في الاستثمار البشري، الذي يُشكل الدعامة الأساسية لكل نهضة سواء كانت اقتصادية، اجتماعية... وقد تجلى هذا في تبني العديد من المقاربات وتجريب الكثير من وصفات إصلاحية مبنية بشكل عقلاني تتماشى مع واقع وإمكانيات وطموحات كل أمة على حده، وهو الشيء الذي اتبعته الجزائر، في محاولة منها لمواكبة التغيرات والتطورات الراهنة، وذلك بإتباعها المقاربة بالكفاءات. غير أنّ إصلاح التعليم يحتاج إلى نظرة شاملة لكافة الجوانب والمجالات، نظرة تتجاوز الحلول الترقيعية اللحظية، لهذا اختارت بعض الدول في مجال التعليم نظام الجودة في إصلاح منظومتها التربوية، ولنا في فنلندا نموذجا ومثالا يستحق الدراسة والاستفادة منه.

Abstract

Finland's schools score consistenly at the top of world ranking, yet the pupils have the fewest number of class hours in the developed world. The finnish philosophy with education is that everyone has something to contribute and those who struggle in certain subjects should not be left behind.The educational system's success inFinland seems to be part cutural. Pupils study in a relaxed and informal atmosphere. The system's success is built on the idea of less can be more. There is an emphasis on relaxed schools, free from political perceptions. This combination, they believe, means that no childis left behind. The Finnish's educational system can be inspired by other contries like Algeria, to getting heist ranking.

1 - المقدمة:

يمُر العصر الحالي بتحولات عديدة في كافة مجالات الحياة، الأمر الذي يستدعي اللحاق بهذا التقدم، ومواجهة مختلف التغيرات المواكبة له، ولقد انتقل مفهوم الإستثمار لدى الدول المتقدمة من الجانب المادي الصناعي الصرف واتجه نحو إستثمار وتنمية الموارد البشرية، مما انعكس إيجابيا على الأنظمة التربوية، فتُولي مختلف الدول حاليا إهتماما كبيرا ومتزايدا لجودة التعليم. (1)

تُعرّف العملية التعليمية - التعلمية على أنّها تلك العملية التي يتم فيها التفاعل بين طرفين (مدرس/متعلم)، لكل منهما أدوار يُمارسها من أجل تحقيق أهداف تربوية، سواء على المستوى العقلي أو الوجداني أو الحس الحركي. (2)

يُعتبر التعليم في فنلندا تجربة فريدة وعلامة مميزة تستحق الاطلاع عليها، وأن نقف لها احتراماً وتقديراً على ما وصلوا إليه في هذا المجال. فذلك البلد الذي أنهكته الصراعات السياسية والحروب العالمية قديما، حقق قفزات هائلة في مجال التعليم غيرت ملامحه تماماً.

يُشيد العالم كله بفنلندا وبمثالها النموذجي لنظام تعليمي مبتكر ومزدهر، أولويته هم أصحاب الشأن في النظام التعليمي كله، هم التلاميذ والطلاب. الإعلام الدولي مُنبهر بمنهج فنلندا لتصميم النظام التعليمي، والمراقبون يقولون: كون فنلندا قادرة على أن تكون ضمن أعلى ثلاثة بلدان - وفقاً لاستطلاع التقييم الدولي للطلاب - فإن ذلك يدل على نجاحها الساحق، وأنها تستحق المتابعة عن كثب. فحسب وزيرة التعليم الفنلندية " تولا هاتانين" ، متحدثة عن كيفية نهضة بلادها ومنافستها مع سائر بلدان العالم، فتعتبرُها مسألة بقاء ووجود، وليس لها من سبيل غير الاستثمار في التعليم والتدريب.

ونظرا لأنّ الجزائري في بحث مستمر عن الرقي والتقدم فليس له من سبيل إلاّ التعليم، ولن تكون وسيلة خير من المؤسسات التربوية لتحقيق ذلك، فقد أصبحت المدرسة الجزائرية مطالبة أكثر من أي وقت مضى أن تبذُل كل جُهد ممكن لتربية الإنسان العصري القادر على التفكير السليم البنّاء، والمُزود بالمعارف والمهارات الأساسية التي تُمكنه من التكيف الذكي والتأقلم مع طبيعة عصره وخصائصه.

2 - أهداف الدراسة:

هدفنا من خلال دراستنا الحالية إلى مايلي:

- إلى الإحاطة بمميزات وخصائص التعليم في فنلندا من خلال دراسة ومعالجة نظرية للتجربة الفنلندية في التعليم وكيف أصبحت دولة رائدة في هذا المجال بكافة المقاييس الدولية.

- إلى الاستفادة المباشرة من نتائج الدراسة في تطوير عملية التعليم، عن طريق البحث في تجارب الأمم المتطورة وأن تكون مصدر إلهام لاستنباط الدروس والعبر، وتقديم الاقتراحات كحلول مستقبلية توضع بين أيدي صنّاع القرار للبت فيها.

3 - أهمية الدراسة:

تتجلى أهمية أي دراسة من أهمية الموضوع الذي تتناوله، وانطلاقا من أنّ موضوع "واقع التعليم في الجزائر من التجربة الفنلندية" يُمثل صلب واقع عملية التعليم في الجزائر متمثلا في التحديات التي

يُواجهها والجهود المبذولة لتجاوز هذه المعوقات والصعوبات، وذلك من خلال استخلاص الدروس والعبر من تجارب الدول المتقدمة في هذا المجال. فعملية التعلم تحتوي على كم هائل من التعقيدات حيث أنّها تتعامل من جهة مع عناصر بشرية غير متجانسة ميزتها الفروق الفردية والاتجاهات والميول المتباينة، التي تجعل من توليها وضبطها أمرا صعبا ومعقدا، ومن جهة أخرى تعتمد على إمكانيات مادية تُساهم بدرجة كبيرة في الرقي والوصول إلى المبتغى.

ويأتي بحثنا ليكون دعما للقائمين على مجال التعليم في إطلاق يد التطوير باستخدام أساليب أكثر فاعلية في مجال التدريس.

4 - مباحث الدراسة:

المبحث الأول: مميزات التجربة التعليمية في فنلندا:

المطلب الأول: المساواة في التعليم (3): أحد المبادئ الأساسية في التعليم الفنلندي هو ضرورة إتاحة نفس فرص التعليم لكل المواطنين بغض النظر عن العرق، السن، المستوى الاجتماعي أو مكان الإقامة.

- **التعليم مجاني لكل المراحل:** فهو مجاني لكل المراحل. كما يتم توفير الكتب الدراسية، والوجبات الغذائية، ووسائل النقل للطلاب المقيمين بعيدا عن المدرسة مجانا. لضمان توفير فرص الدراسة للجميع، يوجد نظام متكامل للمنح الدراسية.

- **يحق لكل تلميذ وطالب الحصول على دعم تعليمي:** يعتبر التوجيه التعليمي عاملا أساسيا، حيث يهدف إلى توفير الدعم، والمساعدة، حتى يتمكنوا من تقديم أفضل أداء ممكن في دراستهم ويتمكنوا من اتخاذ قرارات صحيحة وملائمة فيما يتعلق بحياتهم الدراسية والمهنية.

- **يتم توفير تعليم ذوي الاحتياجات الخاصة بشكل عام جنبا إلى جنب مع التعليم النظامي:** إذا تعذر تعليم أي تلميذ في مجموعة تعليمية عادية، فيجب توفير خطة تعليم فردية لكل طالب من الطلاب الذين يحتاجون للتعليم الخاص بذوي الاحتياجات الخاصة.

- **الجهود المبذولة لتوفير الدعم للأقليات اللغوية والمغتربين:** تلتزم السلطات المحلية بتوفير فرص التعليم للأقليات الأخرى.

- **إلقاء الضوء على التعلم مدى الحياة:** ويهدف تعليم الكبار هو إطالة الحياة المهنية، وزيادة معدل التوظيف، وتحسين الإنتاجية.

المطلب الثاني: نظام التعليم قائم على الثقة والمسئولية (4):

- **معظم أنواع التعليم بتمويل حكومي:** كل المؤسسات التعليمية تقدم نفس المستوى التعليمي، وتتلقى التمويل من الحكومة.

- **الإدارة المحلية والمؤسسات التعليمية تلعب دورا أساسيا:** الإدارة المحلية متمثلة في البلديات هي المسئولة عن اتخاذ القرارات حول تخصيص التمويل، والمناهج المحلية، وتوظيف العاملين.

- استقلال تعليمي كبير في جميع المستويات: تُحدد السلطات المحلية مقدار الاستقلالية الممنوحة للمدارس، حيث تتحمل المدارس مسئولية إدارة الميزانية والتوظيف. ويتمتع المعلم باستقلالية تامة، فيمكنه تحديد طرق التدريس الخاصة، الكتب الدراسية والمواد.

- ضمان الجودة يعتمد على التوجيه بدلا من التحكم: لقد تمّ إلغاء عمليات التفتيش على المدارس، ويهدف ذلك إلى الاهتمام الكبير بالتقييم الذاتي للمدارس قصد التوجيه، ومتابعة مدى تحقيق الأهداف الوطنية، ولا يتم استخدام النتائج في تصنيف المدارس.

المطلب الثالث: التعليم في مرحلة الطفولة المبكرة والتعليم الأساسي كجزء من التعلم مدى الحياة:

- التعليم في مرحلة الطفولة المبكرة يدعم تنمية الأطفال وتعلمهم: يكتسب الأطفال في مرحلة التعليم ما قبل الابتدائي المهارات الأساسية، والمعرفة، والقدرات من مجالات التعلم المختلفة التي تتوافق مع عمرهم وقدراتهم. والتعلم من خلال اللعب عامل أساسي.

- توفير التعليم الأساسي ضمن هيكل منفرد: أي لا يوجد فصل بين التعليم الابتدائي والمرحلة الأولى للتعليم الثانوي. حيث يقوم عادة نفس المدرس بتدريس معظم المواد في الأقسام الدراسية الخاصة بأول 6 سنوات، وحسب تخصص المادة خلال آخر 3 سنوات.

- العام الدراسي واحد في كل مكان ولكن الجداول الزمنية تختلف حسب المكان: تمتد السنة الدراسية على مدار 190 يوما، ويتراوح الحد الأدنى لعدد الحصص بين 19 و30 أسبوعيا، ويتوقف ذلك على المستوى وعدد المواد الاختيارية المحددة.

- المناهج الأساسية الوطنية تتيح المجال للاختلافات المحلية: يقوم المجلس الوطني الفنلندي للتعليم بتحديد المنهج الدراسي الوطني للتعليم الأساسي. بالإضافة إلى مبادئ تقييم التلميذ، والتوجيه التعليمي. يقوم موفرو الخدمات التعليمية بصياغة منهجهم الخاص في حدود إطار العمل الموضوع للمنهج الأساسي الوطني. وبذلك تتاح فرصة للخصوصيات المحلية والإقليمية.

- التقييم جزء من العمل المدرسي اليومي: نوع للتقييم في فنلندا هو التقييم المستمر. والهدف منه هو توجيه التلاميذ ومساعدتهم في عملية التعلم. وبناء على هذا التقييم سيتم اختيار التلاميذ لمزيد من الدراسات.

المطلب الرابع: المقررات العامة والمهنية في المرحلة الثانية للمستوى الثانوي:

- يتابع معظم التلاميذ دراساتهم بعد مرحلة التعليم الأساسي: نسبة تزيد عن 90 % من الفئة العمرية المعنية دراستها في المرحلة الثانية من الثانوية العامة أو المهنية بعد الانتهاء مباشرة من مرحلة التعليم الأساسي.

- تتمتع المرحلة الثانية من التعليم الثانوي العام بتنظيم مرن: يتم تنظيم عملية التدريس في شكل وحدات لا ترتبط بالأقسام الدراسية ويتمتع التلاميذ بقدر من الحرية لاتخاذ القرار بشأن جداول الدراسة الفردية.

- أول اختبار وطني في نهاية المرحلة الثانية من التعليم الثانوي العام: تنتهي المرحلة الثانوية باختبار وطني.

- التعليم والتدريب المهني بالتعاون مع عالم الأعمال: يتم تطوير المؤهلات المهنية بالتعاون مع عالم الأعمال والجهات المعنية الأساسية الأخرى. ويتم ذلك لضمان دعم المؤهلات لعملية تحول مرنة وفعالة إلى سوق العمل.

المطلب الخامس: التعليم العالي بالهيكل المزدوج:

- معظم طلاب الجامعة يسعى للحصول على درجة الماجستير: عادة ما تكون المدة المستهدفة للحصول درجة الماجستير 5 سنوات. لقد وضع متخذو القرارات عدة إجراءات لتقصير مدة التخرج منها وضع خطط دراسة شخصية وحوافز مالية.

- درجات العلوم التطبيقية تزود الطلاب بالمهارات المهنية العملية: تمنح الدراسات في المؤسسات الجامعية للعلوم التطبيقية مؤهل تعليمي عالي ومهارات مهنية عملية. وتشتمل جميع الدراسات هناك على التعلم العملي أثناء العمل.

المطلب السادس: كوادر تدريس تتمتع بدرجة عالية من الثقافة:

- متطلبات ما قبل العمل الأكثر شيوعا هي الحصول على درجة الماجستير: يجب أن يتحصل المدرسون على درجة الماجستير. ولابد أن يكون مدرسو الجامعة عامة حاصلين على درجة الدكتوراه أو غيرها من الدراسات العليا.

- يجب أن يتمتع رواد التعليم بمؤهلات التدريس: عادة ما يُطلب من المديرين الحصول على درجة أكاديمية عليا ومؤهلات تربوية. بالإضافة إلى ذلك، يُطلب منهم الحصول على خبرة عمل ملائمة وشهادة في الإدارة التعليمية أو ما يُماثلها. ويجب أن يكون عمداء الجامعة حاصلين على الدكتوراه أو الأستاذية.

- التشجيع على مواصلة تثقيف المدرس: ينظر المدرسون في فنلندا إلى التدريب أثناء الخدمة باعتباره امتياز ولذلك فهم يشاركون فيه بفاعلية.

المبحث الثالث: الدروس المستفادة من تجربة فنلندا:

من الدروس المستفادة من التجربة الفنلندية يُمكن أن نذكر مايلي:

- قوة الثقافة الفنلندية وأهميتها بالنسبة للأطفال (5): في سنوات ما قبل الدراسة يحصل الأطفال الفنلنديون على رعاية صحية متميزة وأنشطة ترفيهية تحت إشراف متخصصين من خلال المستشفيات الحكومية ومراكز رعاية الأطفال. وفي الوقت الذي يبدأ فيه الأطفال الفنلنديون الدراسة، يكونوا قد اكتشفوا أنفسهم فعلياً وقضوا وقتًا طويلاً في اللعب والاستمتاع بحقوقهم كمواطنين صغار.

- ما يحدث في سنوات ما قبل الدراسة: لا يمكن لزائري الفصول الدراسية الفنلندية رؤية ما يحدث في سنوات ما قبل الدراسة، ومع ذلك فإن له تأثيرًا عميقًا على نجاح الأطفال في فنلندا بل ونجاح النظام التعليمي بأسره.

- نظام التعليم في فنلندا جزءا من نظام أكبر اقتصاديا واجتماعيا: يعتبر نظام التعليم في فنلندا جزءًا من نظام أكبر اقتصاديًا واجتماعيًا. – **ركائز النظام التعليمي الفنلندي:** إذا تمعن الباحث جيدا في نظام التعليم الفنلندي بشكل مستقل، فسوف يرى ثلاث ركائز أساسية يقوم عليها النظام التعليمي ككل. **فالركيزة الأولى** تمثلت في إعادت فنلندا تنظيم النظام المدرسي في مراحله الإثني عشر؛ بحيث تقدم كافة المدارس نفس النظام التعليمي لكل الطلاب. فلا مجال لاختيار نوع التعليم، مثل التعليم الخاص أو بدائله. فكل المدارس تخضع للنظام العام وتتساوى في جودتها. **أما الركيزة الثانية** فتكمن في تبني فنلندا لفلسفة فريدة عندما يتعلق الأمر بتعليم ذوي الاحتياجات الخاصة والذي يعتمد على التدخل في مراحل مبكرة ودعم الأطفال غير القادرين أو غير الراغبين في التعلم. ويتلقى 30% من طلاب المدارس الفنلندية تعليمًا لذوي الاحتياجات الخاصة، مما يشكل نسبة مرتفعة مقارنة بمعظم النظم التعليمية في العالم، ويشير إلى دقة وشمولية النظام الفنلندي عندما يتعلق الأمر بتحديد الطلاب ذوي الاحتياجات الخاصة. **أما الركيزة الثالثة** والأخيرة فهي المعلمون. يتلقى المدرسون في فنلندا تدريبًا مهنيًا؛ حيث يحصلون على تدريب بحثي متقدم، كما يحصلون على درجة ماجستير في التربية والتعليم. وبما أن المعلمين مدربون تدريبًا رفيع المستوى، يمكن للمدارس أن تُوكل الكثير من مهامها للمدرسين، حيث يصممون المناهج الدراسية الخاصة بهم. كما إنهم قادرون على تقييم تقدم الطلاب دون الحاجة إلى اللجوء للاختبارات عالية المخاطر. ويعد المعلمون أيضًا على اتصال وثيق بأولياء الأمور والمجتمع الأكبر للطلاب.

الخاتمة:

فإذا أرادت الجزائر عموما والمدرسة الجزائرية خصوصا الاستفادة من التجربة الفنلندية، فيتبيّن لنا أنّها يجب أن تأخذ بعين الاعتبار العناصر الآتية:

إعادة الاعتبار للمنظومة التعليمية ككل: هناك تحدي خطير تُواجهه الدول السائرة في طريق النمو وخاصة الدول الغنية ومنها الجزائر، وهو فقدان التعليم لقيمته الحقيقية، حيث يُنظر له بأنّه غير ذو عائد، حيث يزداد عدد الشباب، وخاصة الذكور، المقتنعين بعدم جدوى التعليم؛ ويعتقدون أنهم قادرون على النجاح في حياتهم بدون تعليم، مما يضر بمستقبل بلدانهم بمجرد تعرض هذه الثروات لهزات.

إعادة النظر في أسلوب تنظيم التدريس والتعلم داخل الفصول الدراسية: يعتبر من المجالات التي تحتاج إلى الكثير من العمل، حيث تعتمد الفصول الدراسية بشكل أساسي على المعلمين مع عدم التركيز على مشاركة الطلاب وتطبيق وسائل التعليم الفعّال، **وخصوصا طريقة التعليم باللّعب.**

الوثوق في الأساتذة: يجب أن يجدوا الدعم الكافي من مديري المدارس أو أولياء أمور الطلاب. وكذلك الوقت الكافي.

الوثوق في التلاميذ: الوثوق في الطلاب وفي قدراتهم على التفكير والإبداع داخل الفصل الدراسي. ويجب التأكيد على المنهج التفاعلي في التدريس والتعلم والذي يعتمد بشكل أساسي على مشاركة الطلاب.

المهنية والقيادة: القيادة في المدرسة والقيادة في التعليم بصفة عامة تعتبر في غاية الأهمية، لأنه ببساطة في غياب القيادة السليمة لن ينجح النظام، حيث تتعثر الكثير من الأفكار الجيدة عندما يتولى الأشخاص المناصب القيادية لأسباب عدة بدلاً من تميزهم الحقيقي كقادة في مجال التعليم.

التقييم: كما يمكن أيضًا تعلم الدروس المفيدة من فنلندا فيما يتعلق بالتقييم. فالهدف لا يكمن في تقييم مدى التعلم، ولكن يجب أن يكون التقييم أداة لتحسين بيئة التعلم. يجب التأكيد على أنّ الاختبارات والاستعداد لها من خلال الدروس الخاصة المكثفة يعد جزءًا لا يتجزأ من نظام التعليم الجزائري. ولكن فنلندا ألغت الاختبارات عالية المخاطر والسباقات الأكاديمية والتي تصنف الطلاب حسب أدائهم الأكاديمي. لم تكن ثقافة الاختبارات موجودة في فنلندا في أي وقت. فحاليًا لدينا امتحان خارجي واحد في نهاية المدرسة الثانوية. ولا يعني ذلك فشل نظام الاختبارات ولكنه اكتشف الفنلنديون أنه بإمكانهم أن يُديروا المدارس بكفاءة وفعالية دون الحاجة إلى الاختبارات عالية المخاطر. يقضي المعلمون أوقاتهم في عمل الأنشطة الممتعة داخل الفصل الدراسي والطلاب يقضون أوقاتهم في تعلم ما يفيد بدلاً من تعلم كيفية الإجابة عن الأسئلة في الامتحانات.

يخلق هذا الوضع حلقة مفرغة يصعب كسرها. ولكن فنلندا وغيرها من الدول مثل كندا ضربت مثالاً لنظام تعليمي ناجح لا يعتمد على الامتحانات. ومع ذلك فإن معظم النظم التعليمية – بما فيها نظام فنلندا – تدفع طلابها إلى إيجاد الإجابات المناسبة للمشكلات؛ حيث يسمح لهم مثل هذا النظام بأن يتساءلوا "ما هي المشكلة الحقيقية التي نحتاج إلى إيجاد حل لها؟". على عكس النظام الذي يعتمد على فكرة – هذا السؤال لن يأتي في الاختبار – ومن ثم لا يوفر الفرصة للطلاب لتعلم ما يفيدهم حقًا.

فإذا أدرك الناس أن بعض أنجح النظم التعليمية مثل كندا وفنلندا وغيرها تبتعد في الواقع عن هذه الحركة وتسلك طريقًا مختلفًا، فقد يمكنهم وقتها التفكير في منهج مختلف لإصلاح التعليم. يحتاج الناس في العالم العربي إلى سؤال صناع القرار ما هي دلائل نجاح هذه النظم التي تعتمد على الاختبارات؟ كما نحتاج إلى تذكر الهدف من التعليم في المقام الأول. هل هو بناء اقتصاد جيد؟ أم المساهمة في سوق العمل؟ أم الحفاظ على الثقافة والتقاليد؟ ينبغي أن يكون هناك هدف وغرض مشترك للتعليم يتفق عليه معظم الناس داخل المجتمع الواحد. ولا توجد إجابة صحيحة على هذا السؤال، ولكن يجب أن يكون هناك إجابة مشتركة بين أفراد المجتمع الواحد. ففي فنلندا تُؤمن أغلبية المجتمع بأن التعليم عامل أساسي لبناء الديمقراطية، وكل النتائج الأخرى التي يحققها التعليم مثل التوسع في سوق العمل تعتبر ثانوية؛ حيث يكمن الهدف الأساسي في تربية مواطنين صالحين وأعضاء ناشطين في المجتمع.

قائمة المراجع:

(1) أمجد قاسم، الجودة في التعليم - تعريفها وأهمتها ومبادئها وأهدافها، موقع منتدى كلية الحقوق، جامعة المنصورة، 14. 07. 2012

(2) عبد الكريم غريب وآخرون، مستجدات التربية والتكوين، منشورات عالم التربية، 2013، ص 231

(3) http://www.malakat.com/education-in-finland-pre-schoo/

(4) http://www.aljazeera.net/news/miscellaneous/2017/1/3/

(5) http://www.konbini.com/fr/tendances-2/finlande-abandonne-enseignement-ecriture-main/